



□ عبد الله الضراسي

جميلة بو حيرد ومكاية [قطعة] الثورة التي التهمت [ثوارها] !!!

مفردات من (نون النسوة)

منذ وصولي العاصمة الجزائرية . الجزائر . فبراير ١٩٧٨ م ، على إثر توقفنا عن الدراسة الجامعية بالقاهرة ، وترحيلنا منها أواخر عام ١٩٧٧م على إثر مشكلة كامب دايفيد وقيام جبهة التصدي والصمود وقتها من (سوريا والجزائر واليمن الديمقراطية وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية) كجبهة معارضة لزيارة السادات إلى إسرائيل، حيث تم على ذلك (طرد) طلاب هذه الدول من عموم الجامعات المصرية ، وكان نصيبنا . طلاب الدراسات الأدبية - استكمال الدراسة في الجزائر وقد (حملنا) معنا تصورات وأحلام وطموحات العيش والدراسة في بلد المليون شهيد ، بدء من مفردات المشهد السينمائي (ثورة الجزائر) وبطل الفيلم السينمائي السياسي الجزائري (علي لبوانت) ورفيقاته المناضلات الجزائريات بالفيلم وتدمير قبو المنزل على من فيه لرفضهم الخروج منه والاستسلام وصولاً إلى مفردات الفيلم الأسطورة لعبقري السينما العربية المخرج يوسف شاهين فيلم (جميلة بو حيرد) والذي بدل قصار جهده في ملازمة مفردات البطلة القومية العربية الجزائرية المناضلة جميلة بو حيرد كواجهة كفاحية في مشهد الثورة الجزائرية، هذا بالإضافة إلى رواية الأديب الجزائري الكبير الروائي (الطاهر وطار) وروايته (اللاز) والتي (لخصت) كيف أن بطل روايته المناضل القومي الجزائري فضل أن يموت ولا أن يلغي هويته الإسلامية المؤمنة أمام المستعمر الفرنسي...

ولكن بعد أن وصلنا إلى هذه المدينة ودخلنا وسط نسيج جامعتها الجزائرية ، كنا أشبه بذلك الذي (يؤذن في مالطا) أو كأننا جئنا من كوكب فضائي ، لأنني عندما بادرت في حوار مع طلبة الكلية التي فيها (كلية العلوم السياسية والإعلامية) فرع إعلام شعرت بأني أخطب جيل لا ولم تربطه أي علاقة بما كنا نحمله من ذكريات جزائرية أنفة لا (سي علي لبوانت ولا الأخت جميلة بو حيرد) حيث ردوا قائلين: واش تكون جميلة بو حيرد ياسي محمد !!!

وعندما (حملت) هذه الانطباعات للسيدة جميلة بو حيرد ، لم تستغرب انزعاجي مما فوجئت به خاصة وإنني وجدت صعوبة كبيرة وبالغة في الوصول إليها بسبب بسيط إنها حتى شتاء ١٩٧٨م كانت فضلاً من حكاية جزائرية سادت ثم بادت !!! وهي بدورها أكدت لي هذا الوصف بل أضافت إنها حكاية القطعة الجزائرية التي التهمت ثوارها !!! حيث أضافت إنها لم تفاجأ عندما حصل ما حصل معي إزاء حكايتها عند أجيال (الشطيح الجزائري) أي جيل الرأي والأغنية الجزائرية الراقصة (لسي عبد القادر) جيل طمسته العلاقات الجنسية المفرنسة) ولهذا لم تعد موجودة في ذاكرة أجيال الجامعات الجزائرية بعد التهام الثورة الجزائرية لنا ، حيث أصبحت مجرد امرأة نكرة !!! مريضة ، ومهملة ومجرد إمراة ومواطنة

جزائرية مشاكة !!! حتى أن مراسيم الرئاسة الجزائرية تفتح لي أبوابها بصعوبة بالغة . ولأزال الكلام للمناضلة الجزائرية جميلة بو حيرد . بينما قبل عقود زمنية عام ١٩٥٥م استقبلني زعيم القومية العربية الراحل السيد جمال عبد الناصر داخل مكتبه ومعه الشعب العربي المصري الكبير استقبال الفاتحين ، وفتحت لي مصر قلبها ودراعيها وكانت زيارتي لها حكاية مصرية جزائرية كبيرة لم تهدأ لشهور...وعندما سألتها هل أنت (نادمة) لما وصل بك الحال أمام هذا الغين والنكران والجحود بعد مسيرة حياة كفاحية أسطورية ١٩ أجابت: لا وألف لا ، لأنني عندما ضحيت بشبابي من أجل ثورة المليون شهيد لم يكن في (بالي) مقابل لهذه التضحيات ، همنا كان التحرير والاستقلال من هذا الكابوس الفرنسي الجاثم على صدر شعبنا منذ سنوات ، ولكن مالم أكن أنتظره هو هذا الجحود والنكران من جنرالات الثورة الذين تحولوا من قادة الثورة إلى (مافيا عسكرية) وطبقة عسكرية متميزة فوق مستوى طبقات الشعب .

وعندما سألتها عن مدى مطابقة (جميلة بو حيرد) يوسف شاهين للجميلة بو حيرد الأسطورة ؟

. أجابت أنه عمل الذي عليه ، أنه نقل قصتي إلى الشاشة رغم غياب جانين مهمين أولهما زيارات أمي لي في السجن ، وثانيهما وهذا الأهم تأثر السجانة الفرنسية المكلفة بحراستي وتأييدها لعدالة قضيتي واستقبالها من عملها (كسجانه) في السجن النسائي وعودتها لبلادها فرنسا .

وعندما سألتها ماذا تحملي من انطباع عن اليمن ، أجابت : كفاية أنك أمامي (ياسي عبد الله) وتذكرني بحماس الخمسينات ويكفي أن الثورة العربية التحريرية لم تنطلق إلا من بلدين هما الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي واليمن ضد الاستعمار البريطاني .

وعندما هميت بتوديعها كنت (قلق) من سؤالي الأخير وقد كانت (بحدس) المناضلة الكبيرة المجربة تعرف طبيعة سؤالي الأخير، وفعلاً كان حول مسيو فير جاس زوجها والمحامي الفرنسي اليساري الذي دافع عنها رغم أن بلاده هي التي سجنها وقد أجابت بأنه (شيء) من الماضي أي كما وصفنتي « فصل من حكاية سادت ثم بادرت !!!»ومثلما بحثت عنها بصعوبة وقابلتها بصعوبة ، غادرتها بصعوبة بالغة كمن دخل متحف التاريخ وخرج منه مثلما دخله !!!